وفي عصر فلاسفة الإسلام، حاول بعضهم الاستعاضة بالفلسفة اليونانية لمجابهة المد الفارسي، وكان هذا التوجه يغذيه جانب معرفي وآخر إيديولوجي،فأما المعرفي هو تحرير السياسة من مفهوم الطاعة والوصاية، وتشبيعه بمفاهيم المشاركة، والمساواة السياسية، وربط السياسة بالحكم الفاضل، مع شحنه بفلسفة رفض حكم الأقلية وأنظمة الغلبة والكرامة والمجد. أما الجانب الإيديولوجي فهو الحد من تنامي الحركة الشعوبية التي جعلت من الفرس مركز العالم الإسلامي.

إن هذه الحركة استطاعت فعلا أن تعطي للسياسة مفهوما مغايرا في بعض جوانبه،إذ أصبحت السياسة ترتبط بالفضيلة والحكم المستنير،الذي يجعل السياسة في المجموع وليس في الفرد، والتي تجعل السياسة حكمة عملية وليست سرا من الأسرار يتوارثها الملوك فقط كما تعتقد الغنوصية.

لقد غاب يزدجرو أنشروان وحضر أفلاطون و أرسطو، غاب أردشير وحضر الإسكندر، غاب برزويه الطبيب وحضر جالينوس، غابت كتب الفرس التالية : كخداي نامة و وآيين نامة.. وحضرت كتب اليونان التالية جوامع السياسة لأفلاطون و كتاب السياسة لأرسطو.

إن هذا التجاذب بين الثقافة الفارسية واليونانية،جعل مفهوم السياسة يتسع على جميع الرؤى والتصورات. وأن يصبح قاعدة مشتركة للعمل والاختلاف، وأن تصبح السياسة عربية اللسان، فارسية الآداب والسلوك، يونانية الغايات والمنطلقات، وإسلامية الروح والامتداد.

المبحث الثاني

مفهوم المدينة في التراث الإسلامي و الغربي

تعتبر المدنية في الفكر الإسلامي من أخطر موضوعات الفكر السياسي لكونها حاضرة الاجتماع البشري، ومُقام الحاكم، ومنشأ السلطة، وميدان التجارة والمعاش.

ومن ناحية تاريخ الفكر السياسي تعتبر المدينة هي موطن ميلاد السياسة، بل يذهب بعض الفلاسفة المعاصرين إلى القول أن كل شيء بدأ مع المدينة وفيها. والمدينة تعكس في جوهرها كمفهوم طبيعة التمدن الذي تحدث عنه أرسطو، والذي يكون بالطبع أو بغيره، والتّمدن هو وقدرة الإنسان على الاجتماع في حواضر تعكس مستواه الفكري والثقافي، والذي اصطلح ابن خلدون على تسميته بالعمران.

والتّمدن ظاهرة اجتماعية سياسية،يتميز بها الإنسان دون سواه من الموجودات بغض النظر عن ما أسماه سان أوغسطين "مجتمع عشيرة الملائكة"، حيث يعتقد أن "مدينة الإله" لابد أن تحاكيه في تنظيمها بوصفه يُمَثِلُ الكمال.

ومفهوم المدينة يتحكم فيه الثابت والمتحول، الأسطورة والواقع،الفلسفة والدين،القديم والمعاصر.. وعلى هذا الأساس سننطلق في تحليله من الإشكال التالي: ما المدينة؟؟

١-١- الرافد العربي والإسلامي

المدينة في اللغة العربية لها عده دلالات ومرادفات تقترب من المعنى العام الذي يفيد مَوطن الجماعة السياسية ومكان تجمعها. فالمدينة هي البلدة، المصر، الحاضرة، ثم أصبحت مرادفة لمفهوم الدولة. وتخرج القرية، المحلة، والسِّكة من دائرتها المفاهيمية بوصفها تجمعات صُغرى لا ترقى لمستوى المدينة. والقرآن الكريم عندما تحدث عن التجمعات العربية و اليهودية استعمل لفظة القرية ثلاث عشرة مرة[١]، واستعمل

---

(١) ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ البقرة :٥٨.
﴿يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ النساء :٧٥.
﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم﴾ الأعراف: ١٦١.
﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ الأعراف: ١٦٣.
﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ يوسف: ٨٢.
﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية﴾ الأنبياء :٧٤. =

لفظة أم القرى للدلالة على مكة فقط. وهذا يفيد أن حكمة الله قضت أن تُسمي الموجودات بما هي عليه، فتلك التجمعات لم ترق آنذاك إلى مستوى الاجتماع البشري، وأن مكة رغم ما لها من حرمة وقداسة لم ترق إلى مكانة المدينة، بل وُصفت بأم القرى(١) لكونها كانت مجمع القرى العربية المنتشرة في ربوع الجزيرة العربية من حيث التجارة والعبادة.

وفي سياق آخر نلاحظ الله سبحانه وتعالى يُسمي أمصار الفراعنة بالمدينة(٢)، لكونها فعلا تمتلك معالم المدينة وإن كانت على غير هدى الله. وفي السياق التاريخ العربي نلاحظ أن يثرب التي كانت قبل الهجرة تعد قرية،عُرفت بعد الهجرة النبوية

= ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ . الفرقان :٤٠.
﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين﴾ العنكبوت: ٣١.
﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ العنكبوت: ٣٤.
﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾ يسن: ١٣.

(١) ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾ الأنعام:٩٢.
﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ الشورى: ٠٧.

(٢) ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾. الأعراف:٢٣.
﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ يوسف :٣٠.
﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ الحجر: ٦٧.
﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ الكهف: ١٩.
﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾. الكهف: ٨٢.
﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾. النمل: ٤٨.
﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ القصص :١٥ .
﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ لقصص :١٨.
﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ القصص :٢٠.
﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ يسن :٢٠.

بالمدينة المنورة، وأكد الله هذا الاصطلاح في آيتين[1]، وعلة التحول أن يثرب أصبحت مدينة كونها امتلكت خاتم التمدن السياسي الحقيقي، الحاكم والقانون (النبي/الشريعة).

والمدينة مصدر على وزن فَعِيلَة، وأصلها فعل ثلاثي : مَدَنَ، وقولنا مَدَن المكان، أي أقام به، أو قَطَنه، أو نزله. وقد تُفهم على وجه آخر كما جاء في لسان العرب، فهي يمكن أن تكون اشتقت من دِينَ أي مُلك[2]. بوصف المدينة تشترط وجود الملك والسلطان، أو الوالي على الأقل عكس القرية. ودليل أهل اللغة ما جاء على لسان يوسف : ﴿ما كان ليأخذ آخاه في دِينِ الملك﴾[3]، أي في مدينة الملك والقصد هنا القانون.

والمدينة في اللغة العربية لها مثاني دلالية، تأخذ بالمعنى الأول غير أنها تعطى له أبعاد جديدة، تتطابق ومرتبته ودرجته، فإذا كانت المدينة هي ذاك التّجمع الأصغر الذي هو قوام المَدَّنِية السياسية فقد نصطلح عليها بألفاظ أخرى، فالمَصرُ يشير إلى نفس المعنى إلا إنّه يُعبر من جهة أخرى على سعة الانتشار وكثرة العمران، يقول التهانوي: " المصر..الحد الصحيح المُعول عليه أنه كل مدينة يُنفذ فيها الأحكام ويقام بها الحدود، ...أنّه ما فيه جماعات من أهل الحرف وجامع أسواق ومفت وسلطان أو قاض يقيم الحدود"[4]. وقد يُطلق على مجموعة من المدائن مَصر كما هو الحال بالنسبة لأرض الكنانة التي لحد اليوم تحتفظ بلفظة "مصر".

---

(١) ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة﴾ الأحزاب :٦٠.
﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ المنافقون:٠٨.

(٢) لسان العرب، مج ٥، ص١٣٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ٧٦.

(٤) القسطنطيني،مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج ٦، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة أو سنة،ص١٣٢٨.

وهناك لفظة الحاضرة[1] التي تكاد تكون متطابقة مع مفهوم المدينة، والحاضرة أكثر شأنا في الفكر الإسلامي من المدينة،لكون المدينة التي توصف بالحاضرة هي فقط التي اكتسبت صفات التّمدن الراقي، أي مظاهر الحضارة، خاصة مراكز العلم والثقافة.

وفي التراث يُطلق لفظ الحاضرة على المصر الذي يقطنه العلماء، ويكون قبلة المشتغلين بالمعارف وأنواع الفنون، كالكوفة، دمشق، القاهرة، القيروان، فاس، بجاية، تلمسان.

وعند العلماء المسلمين أن مصطلح المدينة يُطلق فقط إذا توفرت جملة من الشروط، اختلفوا في تحدديها، وسنذكر بعضها:

-إذا بلغ عدد المجتمعين بأرض عشرة آلاف: "وقيل ما يكون سكانه عشرة آلاف"[2].

- إذا بلغ عدد المحاربين ألف مقاتل [نظرة أفلاطونية]: "وقيل ما يكون فيه ألف رجل مقاتل"[3].

- إذا بلغ عدد المساجد فيه أكثر من خمسة، وهذا الشرط وضعه الأصوليون.

- إذا وجد قانون أو شرع وناب في تطبيقه عن السلطان قاض أو وال.

ومن مما سبق نستطيع القول، أن لفظة المدينة في الفكر الإسلامي تدل على مفاهيم، جغرافية وثقافية، أكثر من دلالتها على المفهوم السياسي، لأن ما يعبر عن

---

(١) يفضل بعض المترجمين ترجمة لفظة Cite بالحاضرة لا المدينة، من منطلق أن مفهوم الحاضرة أسمى من مفهوم المدينة، ولما للمصطلح من إشارة دلالية على الحضارة. ومن بينهم د.علي مقلد في ترجمته لكتاب جون توشار تاريخ الفكر السياسي (م . مستعمل).

(٢) المصدر السابق، ١٣٢٨.

(٣) المصدر والمكان نفسه .

السياسة في لغتنا العربية،وتراثنا الفكري، هو مصطلح "الدولة" وهو ما نلاحظه في رسائل إخوان الصفا.

ولما تُرجم التراث اليوناني إلى العربية ارتبط لفظ المدينة بالسياسة، لكون اليونان نحتوا مصطلح السياسة من لفظة المدينة أصلا، كما سبق ذكره.

وفلاسفة الإسلام عرّفوا المدينة من زاوية التجمعات الصغرى، التي تتوسط ما يسمى الأمة والمنزل، وبالتالي فجل تعاريفهم لا تخرج عن المعنى الذي حدده كل من أفلاطون وأرسطو. فالفارابي يعرفها: "..والكاملة ثلاث: عظمى ووسطى و صغرى، فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة، والوسطى اجتماع أمّة في جزء من المعمورة، والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمّة"(١). والفارابي لم يضف إلى المفهوم اليوناني سوى الإقرار بهيئة أشمل من المدينة هي الأمة، والتي تعد المدينة جزءا من مسكنها، وهذا الاستطراد في التحديد يتوافق مع الواقع السِّياسي الإسلامي، الذي يجعل الأمة هي قمة التكتل الإسلامي.

والفارابي في شرحه للنواميس قدم تعريفا توضيحيا للمدينة : " إنّ المدينة لا يتم أمرها إلا بأن يكون فيها رؤساء و مرؤوسون،فالرؤساء مثل الأفاضل وذوي الأسنان وذوي التجارب، والمرؤوسون كلّ من دون هؤلاء من الصبيان والشّبان والجهّال"(٢). فالمدينة هي تجمع قوامه علاقة التسلط بين طرفين، طرف يمثل الحكمة والسداد، وطرف يمثل العوام وهم الأغلبية. والفارابي لا يريد أن يُعرف المدينة بالموقع أو الموضع،لأن الموضع لا يعطي للمدينة حقيقتها باعتباره عرضا، أما حقيقة المدينة تكمن في: "إن المدينة على الحقيقة ليست الموضع الذي يُسمّى مدينة أو مجمع الناس، لكن لها شروط منها أن يكون أهلها قابلين لسنن السياسات، وأن يوجد لها مدبر إلهي [يقصد

---

(١) الفارابي، كتاب السياسة المدنية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص٧٣.
(٢) الفارابي، النواميس، ص ٢٢.

الإمام]، وأن يظهر في أهلها من الأخلاق والعادات ما يُحمد ويُمدح، وأن يكون مكانها ملائما طبيعيا بحيث يمكن أن يجلب إليها الميرة التي يحتاج إليها أهلها وسائر ما لا غنى بهم عنه"(١).

إن ظاهرة التمدن تعتبر أكثر المسائل التصاقا بتصوراتنا، ولقد حاول الفكر الإسلامي أن يحللها من خلال دراسة ظاهرة نشوء المدن. ومن ذلك أن القزويني يربط نشوء كل مدينة بما أسماه الهيئة الاجتماعية(٢) التي تعبر عن بلوغ الجماعة مستوى عال من الوعي والتنظيم، وقد جاء في مقدمة كتاب أثار البلاد وأخبار العباد: "اعلم أن الله تعالى خلق الإنسان على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده كساير الحيوانات،بل يضطر إلى الاجتماع بغيره حتى يحصل الهيئة الاجتماعية التي يتوقف عليها المطعم والملبس، فإنهما موقوفان على مقدّمات كثيرة لا يمكن لكل واحد القيام بجميعها وحده.فإن الشخص الواحد كيف يتولى الحراثة فإنّها موقوفة على آلاتها، وآلاتها تحتاج إلى النجّار، والنجّار يحتاج إلى الحدّاد، وكيف يقوم بأمر الملبوس وهو موقوف على الحراثة والحلج والندف والغزل والنسج، وتهيئة آلاتها، فاقتضت الحكمة الإلهية الهيئة الاجتماعية"(٣).

وعندما تصل الجماعة إلى إدراك ووعي كونها أصبحت هيئة اجتماعية، يكون وجود المدينة على وشك الانبلاج من المقدمات النظريات، والوقائع المادية، والقيم الاجتماعية.

وميلاد المدينة يبدأ في التّشكل عندما يختص أهل الجماعة الواحدة في امتهان حِرَفٍ يرتبط وجود كل واحدة منها بالأخرى، كما ترتبط الأعضاء في الجسد الواحد، إن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢) الهيئة الاجتماعية لفظة أبدعها العقل الإسلامي قبل أن ينحتها علماء الاجتماع الغربيين.

(٣) القزويني، زكريا بن محمد، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لم تذكر_ط.س). ص ٧.

منشأ المدينة في أوله ليس سياسيا، بل صناعيا وحرفيا،كما يؤكد ذلك القزويني: "فترى الخبّاز يخبز الخبز، والعجّان يعجنه، والطحّان يطحنه، والحرّاث يحرثه،والنجّار يصلح آلات الحراث، والحدّاد يصلح آلات النجّار، وهكذا الصناعات بعضها موقوفة على البعض"(١).

إن حصول الصناعات وارتباط بعضها ببعض هو الذي يؤدي إلى حصول الهيئة الاجتماعية التي تحاكي في نظامها البدن، من منطلق أن الحرف والصناعات هي التي تُكَوِن النسيج الاجتماعي، الذي يتحول بفعل التّطور إلى ما نسميه اليوم بالشبكة الاجتماعية، يقول القزويني معلقا على نشوء الهيئة الاجتماعية ما يلي: "وعند حصول كلّها [أي الصناعات والحرف] تتمُّ الهيئة الاجتماعية، ومتى فقد الشيء من ذلك فقد اختلت الهيئة الاجتماعية، كالبدن إذا فقد بعض أعضائه فيتوقف نظام معيشة الإنسان"(٢).

١-٢- المدينة في الوافد :اليوناني و الغربي المعاصر

محاولة رصد مفهوم المدينة في فلسفة الآخر له ما يبرره منهجيا، لكون طبيعة الموضوع تفرض علينا تعريف المدينة في الفكر اليوناني أولا، وثانيا أن مفهوم المدينة السياسية يتبلور أكثر وضوحا في الفلسفة اليونانية لكون الحياة العادية للمواطن الإغريقي كانت تدور أصلا حول المدينة والسياسة، عكس المجتمعات الشرقية التي اهتمت بما هو عملي وتقني. ولعلنا نتفق مع جون توشار في قوله: " تدور الحياة السياسية لدى الإغريق، والقدامى بوجه عام،حول وجود الحاضرة La Cité التي كانت تلعب في العالم السياسي لدى الإغريق نفس الدور الذي تلعبه دولنا الحديثة،على ما بين الحياتين من اختلاف"(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص ٧.

(٢) المصدر والمكان نفسه.

(٣) جان توشار و آخرون،تاريخ الفكر السياسي،تعريب علي مقلد،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص١١.

فالمدينة عند هوميروس هبة الآلهة للإنسان وبالتالي يرتبط مفهومها بالعناية الإلهية والبعد الميتافيزيقي والأسطوري، إذ تصبح المدينة الأرضية مجرد نسخة لما هو أصل في مجتمع الآلهة، إن الإنسان من خلال تشيده للمدن يعكس محاولة محاكاة مجمع الآلهة السعداء.

ارتبط مفهوم المدينة أول الأمر بموطن العشيرة،ونستقرأ ذلك من خلال المعايير التي تحدد المُواطنة كصفة سياسية، فالمعيار الشامل الذي تتأسس عليه هو الميلاد، فالمواطن الحقيقي هو الذي ينحدر من سلالة أثينية تمتلك العناصر الثلاث التالية : "النسب" Génos، القبيلة Phratrie(١).

والمدينة في التصور اليوناني من ناحية أخرى ترتبط بالنموذج المثالي، الذي يتموضع حول أصولها وتطورها،لكنه يقوم في الأصل على ثلاث عناصر هامة: الجماعة، الأرض، المركز السّياسي(٢). وهي محاولة ترقية المفهوم من طابعه القبلي إلى مفهوم سياسي، إذ أصبحت المدينة ترتبط بالسياسة أكثر من ارتباطها بالعشرة، وظهرت المدينة كمؤسسة قائمة على حرية الفرد ضمن نطاق الوحدة السياسية.

ومن خلال تلك التصورات اليونانية، ندرك جليا أن العقل اليوناني يريد من خلال مقابساته الفكرية أن يؤسس دولة المدينة (Etat policé)خلافا لما كان في عهد الإمبراطوريات الشرقية البائدة التي دأبت على تكريس مفهوم الدولة الأمة(Etat nation).

ومفهوم دولة المدينة يرتبط في ماهية وجوده بالمواطن، لأن تعريف المدينة عند اليونان يضع أول حدوده المواطن، إنهم يقصدون المواطن الأثيني فقط،وبذلك يُقصي النساء، والعبيد والأجانب مهما كانت منزلتهم الاجتماعية في بلدانهم الأصلية(٣).

---

(1) Jacob André et des outres, LES NOTIONS PHILOSOPHIQUES, P1977.

(2) Ibid. P1977.

(3) Ibid. P1976.

إن مفهوم المدينة يرتبط بالجنس الراقي أو السّيد، إنها نظرة متعالية عن كل ما هو غير أثيني المُصنف ضمن دائرة الهمج والبرابرة، حتى ولو كان أكثر تحضرا أكثر منهم.

ورغم طغيان المفهوم السابق على ذهنية الإغريق،حاول أفلاطون أن يعطي للمدينة مفهوما جديدا وبعيدا عن ما هو شائع في الثقافة اليونانية. وأن يحطم النسق السفسطائي الذي جعل المفهوم ضيقا ومحصورا في الرقعة الجغرافية المحدودة.إن المدينة عند أفلاطون تتخذ صفة الشمولية، وتتجه نحو الكون (KOSMOS)لا الأرض، إن ماهيتها لا بد أن تتحدد بالفضيلة والغايات، وليس بالسياسة والجماعة السياسية (KOIONIA)كما هو شائع(١). والمدينة موضوع حاول لكل انشغالات الفلسفة الأفلاطونية، التي تأخذ دوما على عاتقها مهمة البحث عن أهم الطرق التي تدبر حياة الجماعة. وبالتالي نجد تعريف المدينة في الغاية التي تسعى لها، والتي هي الخير العام والحياة السعيدة، والمدينة من جهة أخرى هي الوحدة التي تسمح بالكثرة، إنّها أولا كالروح تماما، ثم هي أداة تقنية،وأخيرا هي كائن حي(٢).

حاول أرسطو أن يرتقي بمفهوم المدينة وأن يربطه بالعالمية، فالمدينة العالمية هي محاولة جعل كل العالم ينصهر في أثينا، عندئذ تصبح أثينا مركز الأرض والكون معا، ومنه يصبح اليوناني مركز الكون كله. وأرسطو يتعامل مع المدينة كمفهوم من وجهة واقعية وعضوية،فمن الناحية الواقعية تعتبر المدينة مجرد صورة أكثر تنظيما للعائلة، وبالتالي المدينة حالة طبيعية، لكون الطبيعة كما قال أرسطو لها غايات(٣).

وبما أن الإنسان كائن طبيعي ثم سياسي، كانت المدينة عنده مجرد تطور للقرية، التي هي نفسها مجرد تطور لنظام العشيرة. وأرسطو يرى أن كل شيء مردود

---

(1) Ibid, P1977.

(2) Brisson Luc et Jean– François Pradeau . Le vocabulaire de PLATON , Ellipses/ édition marketing S.A, Paris 1998,P14.

(3) Lefebvre, René, POLITIQUE Aristote . Ellipses/ édition marketing S.A, Paris 1997, P11.

لطبيعته،وبالتالي فإن تطور الأسرة إلى ما يسمى المدينة هو نتاج الطبيعة ذاتها،ومن خلال التحليل السابق يذهب أرسطو إلى اعتبار المدينة تجمع عضوي، يشبه تماما نظام الجسد.

إن ما يميز الإنسان عن الحيوانات ضمن حركة التاريخ،هو مقدرة الحيوان على أن يمتلك لغة للتخاطب، وعقلا للتفكير، وان يستطيع أن ينظم اجتماعه(١)، عندئذ يمكن القول أن طبيعة هذا الحيوان مدنية (حيوان سياسي).

وفي الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة نجد أغلب التعاريف لا تختلف عن ما أبدعه اليونانيون، فالدولة عند لالاند لا تخرج عن التعريف الشائع، كونها وحدة سياسية منظمة مستقلة، تلعب دور الشخصية الاعتبارية ككيان يناظر الدول الأخرى التي لها معها علاقات(٢)، ويرى لالاند من جهة أخرى أن الدولة هي مجموع الخدمات الجليلة التي تُقدم لمجموع الأفراد داخل أمة ما(٣). أما المدينة عند بول فولكي فتعني قبل كل شيء الشرط الذي يحقق المواطنة(٤)، وبالتالي فهي مجموع المواطنين الذين يشكلون وحدة سياسية داخل رقعة جغرافية(٥).

١-٣- المدينة : تنوع المفاهيم فضاء للإبداع

والثابت من خلال ما سبق أن المدينة هي موطن الجماعة السياسية التي تُخضع علاقاتها لمنطق السياسة وقواعد علم الاجتماع البشري، والمتحول فيها الصورة التي تكون عليها من خلال طبيعة الحكم والقانون، ومن جهة أخرى الغاية من وجودها أصلا،وعلى أيّ شيء ينبغي أن تتأسس.

---

(1) Ibid. P 11.

(2) André Lalande, vocabulaire (T et C) DE LA PHILOSSOPHIE, P.U.F. P305.

(3) Ibid. Op.sit.

(4) Foulaué; Poul; DICTIONNAIRE DE LA LANGUE PHILOSOPHIQUE, P93.

(5) Ibid, Op.sit.

ويبدو من خلال ما هو متعارف عليه أن المدينة هي التي تشترط التّمدن - لم يخلو مؤلف سياسي من توظيفه عند الحديث عن الاجتماع البشري - وليس التّمدن هو الذي اشترط المدينة، لكون وجود المدينة سابق عن التّمدن، الذي هو مجرد مظهر ونتاج العلاقات التي تفرضها المدينة. وليس هناك طبع مدني كما قال أفلاطون و أرسطو، بل التمدن يخضع لشروط خارجة عن ما هو طبيعي وفطري في الإنسان، وأن الفطري قد يساعد الإنسان على التمدن ولكن ليس هو الدافع إليه فحسب.

والمدينة في المفاهيم الإسلامية ترتبط بالدولة أكثر من ارتباطها بالرقعة الجغرافية المحدودة بعدد السكان، وكذا المساحة، كما كان الحال عند اليونان، بل المدينة في المفهوم الإسلامي تمتاز عن مفهوم المدينة اليونانية بما يلي:

- لا ترتبط بالقبيلة أو العشيرة، بل كل سكانها مواطنون، في حين أن اليونان المواطنة صفة لا تمنح للأجانب والنساء والعبيد،إن عنصر الميلاد بالمكان هو الذي يحددها قبل كل شيء.

- مفهوم قابل لكل التصورات، فيمكن أن نربطه بالدولة أو الأمة، وبالتالي فهو مفهوم مفتوح على كثير من القراءات، فالمفهوم متسع وماصدقه ضيق، بينما المفهوم اليوناني لم يربط المدينة بالدولة أو الأمة،بل ربط المدينة ب:النسب، العشيرة، ولذلك السبب كانت اليونان مجموعة مدن ولم تكن دولة واحدة.

- مفهوم المدينة في الفكر الإسلامي يتضمن بالضرورة البعد الديني، ويجعل المدينة تتجه نحو الوحدة الروحية والمعنوية أكثر من الوحدة الاقتصادية والعرقية والجغرافية،بينما عند اليونان وحدة المدينة تكمن في الجماعة السياسية فقط.

- إن مفهوم المدينة في الفكر الإسلامي أساسه القانوني ثابت في أصوله لكونه مستمد من الشريعة الإسلامية،أما المدن اليونانية فكل مدينة إلا وتؤسس ناموسها وفق إرادة قادتها، لهذا لم يشهد تاريخها دوام شريعة ما أو على الأقل استقرارها ولو نسبيا.

إن مفهوم المدينة مرتبط بالحاكم "الخليفة " أو "الإمام "، وتصبح المدينة عندئذ تترجم رغبة الإنسان في تحقيق مبدأ الاستخلاف الذي أشار إليه القرآن الكريم في كثير من آياته، وبالتالي تعتبر المدينة علامة من علامات تحقيق رسالة الاستخلاف. أما مفهوم المدينة في الفلسفة اليونانية يرتبط بالحاكم الذي يبدع فن تسير المدينة، فالمدينة هي مظهر من مظاهر الإبداع الإنساني، إن الإبداع تتقاسمه ثلاثة أطراف: الحكماء بتصوراتهم، والحكام بممارستهم لتلك التّصورات،والمواطنون بالمشاركة في كل الأنشطة السياسية.

والفرق الجوهري بين المفهومين، أن المدينة في الفكر الإسلامي مفتوحة على الأخر ولا تقصيه، وأن الانتماء إليها تحدده الحرية والأخوة والعدالة، بينما المدينة في العرف اليوناني هي مدينة اليونانيين فقط، إنها ترفض الأخر وتعتبره بربريا وهمجيا، وأنّ الطبيعة وهبته لهم كعبد بوصفهم مركز العالم وسادته.

المبحث الثالث

العلم المدني من التصنيف اليوناني إلى التاصيل الاسلامي

إن مصطلح العلم المدني هو إبداع أرسطي محض، يعود إلى رغبة أرسطو في تصنيف العلوم تصنيفا علميا، يحدد مراتبها وفقا لطبيعتها وحقولها، فكان العلم المدني هو الذي يختص بعلم السياسة والأخلاق، ويعكس من جهة أخرى كونه ينضوي ضمن الحكمة العملية التي تلي في المرتبة الحكمة النظرية.

و أفلاطون عندما تحدث عن السياسة صنفها ضمن العلوم التوجيهية تارة، وتارة أخرى ضمن فنون تدبير شؤون الجماعة. إن الفضل يعود إلى أرسطو في تقنيين العلم المدني، وجعله علما مستقلا بموضوعه ومنهجه. والفكر الإسلامي استقبله كما هو،